بالياء والتاء مخففًا ومشدّدًا، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المدّثر أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القيامة مكية

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾.

إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض[2] في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس:

لا أوبيك ابنة العامري ... لا يدعى القوم أني أفر

وقال غوية بن سلمى:

ألا نامت أمامة باحتمال ... لتحزنني فلا بك ما أبالي

وفائدتها توكيد القسم، وقالوا: أنها صلة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب. وفي قوله: في بئر لا حور سرى وما شعر. واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوّله، وأجابوا بأنّ القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض. والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدةً إلا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال: هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له بذلك عليه قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[3] فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إنّ إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام، يعني: أنه يستأهل فوق ذلك. وقيل: أن لا نفي لكلام وردّ له قبل القسم كأنهم أنكروا البعث. فقيل: لا، أي: ليس الأمر على ما ذكرتم. ثم قيل: أقسم بيوم القيامة.

فإن قُلْتَ: قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾[4] والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت أنّ لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له، وقدّرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيًا. كقولك: لا أقسم بيوم القيامة لا تزكون سدى! **قُلْتُ:** لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر. ألا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا البلد بقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ وكذلك ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ بقوله: ﴿إنه لقرآن كريم﴾. وقرئ: لأقسم على أنّ اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدأ محذوف. معناه: لأنا أقسم. قالوا: ويعضده أنه في الإمام بغير ألف.

وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾.

﴿**بالنفس اللوامة**﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي: في يوم القيامة على تقصيرهنّ في التقوى، أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان. وعن الحسن: إن المؤمن لا تراه إلا لائمًا نفسه وإنّ الكافر يمضي قدمًا لا يعاتب نفسه. وقيل: هي التي تتلوّم يومئذٍ على ترك الازدياد إن كانت محسنةً، وعلى التفريط إن كانت مسيئةً، وقيل: هي نفس آدم لم تزل تتلوّم على فعلها الذي خرجت به من الجنة. وجواب القسم ما دل عليه قوله:

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾.

﴿**أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه**﴾ وهو لتبعثنّ. وقرأ قتادة: أن لن نجمع عظامه على البناء للمفعول، والمعنى: نجمعها بعد تفرّقها ورجوعها رممًا ورفاتًا مختلطًا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض، وقيل: إنّ عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله ﷺ يقول فيهما: «اللهم اكفني جار السوء». قال لرسول الله ﷺ: يا محمد حدّثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره؟ فأخبره رسول الله ﷺ فقال: «لو عاينت ذلك اليوم لم أصدّقك يا محمد ولم أؤمن به أو بجمع الله العظام فنزلت[5].

بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾.

﴿**بلى**﴾ أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع. فكأنه قيل: ﴿**بلى**﴾ نجمعها و﴿**قادرين**﴾ حال من الضمير في نجمع أي: نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها. وإعادتها إلى التركيب الأوّل إلى أن نسوّي بنانه أي: أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه، أو على أن نسوّي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أوّلاً من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام. وقيل: معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوّي أصابع يديه ورجليه. أي: نجعلها مستويةً شيئًا واحدًا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئًا مما يعمل بأصابعه المفرّقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال والبسط والقبض

---

(1) ذكره الثعلبي وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 123.

(2) قال أحمد: إن لا التي قبل أقسم زيدت توطئة للنفي بعده، وقدّرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفياً تقديره ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ لا تتركون سدى، وأجاب: بأنه لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان له مساغ، ولكنه ليس بقاصر عليه، ألا ترى كيف لقي ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ بقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في = كبد﴾ وقوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ بقوله: ﴿إنه لقرآن كريم﴾.

(3) سورة الواقعة، الآيتان: 75 ـ 76.

(4) سورة النساء، الآية: 65.

(5) قال الزيلعي غريب 4/127، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص 248.

والتأتي لما يريد من الحوائج. وقرئ: قادرون أي: نحن قادرون

بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾.

﴿بل يريد﴾ عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهامًا وأن يكون إيجابًا على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب. ﴿ليفجر أمامه﴾ ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه، وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: يقدّم الذنب ويؤخر التوبة يقول: سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله وأسوأ أعماله.

يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾.

﴿يسئل﴾ سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله: ﴿أيان يوم القيامة﴾ ونحوه. ويقولون: متى هذا الوعد؟ ﴿برق البصر﴾ تحير فزعًا وأصله برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. وقرئ: برق من البريق أي: لمع من شدّة شخوصه. وقرأ أبو السمال: بلق إذا انفتح وانفرج. يقال: بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته.

وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾.

﴿وخسف القمر﴾ وذهب ضوءه أو ذهب بنفسه. وقرئ: وخسف على البناء للمفعول.

وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾.

﴿وجمع الشمس والقمر﴾ حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل: وجمعا في ذهاب الضوء، وقيل: يجتمعان أسودين مكوّرين كأنهما ثوران عقيران في النار، وقيل: يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى.

يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾.

﴿المفرّ﴾ بالفتح المصدر وبالكسر المكان، ويجوز أن يكون مصدرًا كالمرجع، وقرئ بهما.

كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾.

﴿كلا﴾ ردع عن طلب المفرّ ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ وكل ما التجأت إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك.

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾.

﴿إلى ربك﴾ خاصةً ﴿يومئذٍ﴾ مستقرّ العباد أي: استقرارهم، يعني: أنهم لا يقدرون أن يستقمروا إلى غيره وينصبوا إليه، أو إلى حكمة ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره. كقوله: لمن الملك اليوم؟ أو إلى ربك مستقرّهم. أي: موضع قرارهم من جنة أو نار، أي: مفوض ذلك إلى مشيئته من شاء أدخله الجنة من شاء أدخله النار.

يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾.

﴿بما قدّم﴾ من عمل عمله ﴿و﴾ بما ﴿أخر﴾ منه لم يعمله أو بما قدّم من ماله فتصدق به وبما أخره فخلفه، أو بما قدم من عمل الخير والشرّ وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده. وعن مجاهد: بأوّل عمله وآخره، ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه.

بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾.

﴿بصيرة﴾ حجةٌ بينةٌ وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالأبصار في قوله: فلما جاءتهم آياتنا مبصرة. أو لأعين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الإنباء لأنه شاهد عليها بما عملت لأنّ جوارحه تنطق بذلك، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾.

﴿ولو ألقى معاذيره﴾ ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها. وعن الضحاك: ولو أرخى ستوره. وقال: المعاذير الستور واحدها معذار فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب.

فإن قُلْتَ: أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير؟ **قُلْتُ:** المعاذير ليس بجمع معذرة إنما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر. الضمير في ﴿به﴾ للقرآن، وكان رسول الله ﷺ إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعةً إلى الحفظ وخوفًا من أن يتفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقيًا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي إليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرّك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾.

﴿لتعجل به﴾ لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك، ثم علل النهي عن العجلة بقوله:

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾.

﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك وإثبات قراءته في لسانه. ﴿فإذا قرأناه﴾ جعل قراءة جبريل قراءته. والقرآن القراءة.

فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾.

﴿فاتبع قرآنه﴾ فكن مقفيًا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾.

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ إذا أشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعًا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾.

﴿كلا﴾ ردع لرسول الله ﷺ عن عادة العجلة وإنكار لها عليه وحثّ على الأناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه

قوله: ﴿بل تحبون العاجلة﴾ كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة.

وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾.

﴿وتذرون الآخرة﴾ وقرئ: بالياء وهو أبلغ.

فإن قُلْتَ: كيف اتصل قوله: لا تحرّك به لسانك إلى آخره بذكر القيامة، **قُلْتُ:** اتصاله به من جهة هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾.

الوجه: عبارة عن الجملة، والناضرة: من نضرة النعيم.

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾.

﴿إلى ربها ناظرة﴾[1] تنظر إلى ربها خاصةً لا تنظر إلى غيره. وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله: إلى ربك يومئذٍ المستقر، إلى ربك يومئذٍ المساق، إلى الله تصير الأمور، وإلى الله المصير، وإليه ترجعون، عليه توكلت وإليه أنيب، كيف دلّ فيها القديم على معنى الاختصاص. معلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإنّ المؤمنين نظارة تلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظور إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء. ومنه قول القائل:

وإذا نظرت إليك من ملك ... والبحر دونك زدتني نعمًا

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول: عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم، والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه.

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾.

والباسر الشديد العبوس، والباسل أشد منه ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه.

تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾.

﴿تظن﴾ تتوقع ﴿أن يفعل بها﴾ فعل هو في شدّته وفظاعته ﴿فاقرة﴾ داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير.

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾.

﴿كلا﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين. والضمير في ﴿بلغت﴾ للنفس وإن لم يجر لها ذكر لأنّ الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم:

أماوى ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

وتقول العرب: أرسلت، يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء. ﴿التراقي﴾ العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها.

وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾.

وقال حاضرو صاحبها ـ وهو المحتضر ـ بعضهم لبعض. ﴿من راق﴾ أيكم يرقيه مما به؟ وقيل: هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب.

وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾.

﴿وظن﴾ المحتضر ﴿أنه الفراق﴾ أنّ هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة.

وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾.

﴿والتفت﴾ ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت، وعن قتادة: ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالاً. وقيل: شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة، على أن السياق مثل في الشدّة. وعن سعيد بن المسيب: هما ساقاه حين تلفان في أكفانه.

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾.

﴿المساق﴾ أي: يساق إلى الله وإلى حكمه.

---

(1) قال أحمد: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يندن ويطبل في جحد الرؤية، ويشقق القباء ويكثر ويتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاه صنع في مصادمتها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول؛ لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى، وما يعلم أنّ المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه غيره ولا يعدل به عزل وعلا منظوراً سواه، وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء، ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظفرته برؤية محبوبة لم يصرف عنه لحظه، ولم يؤثر عليه، فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم، نسأل الله العظيم أن لا يصرف عنا وجهه، وأن يعيننا من مزالق البدعة ومزلات الشبهة، وهو حسبنا ونعم الوكيل. =

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾.

﴿فلا صدق ولا صلى﴾ يعني: الإنسان في قوله: ﴿أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه﴾[1] الا ترى، إلى قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾[2] ومعطوف على ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾، أي: لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى. ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه. وقيل: نزلت في أبي جهل.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾.

﴿يتمطى﴾ يتبختر وأصله يتمطط أي: يتمدد لأنّ المتبختر يمد خطاه، وقيل: هو من المطا وهو الظهر لأنه يليه، وفي الحديث: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم».[3] يعني: كذب برسول الله ﷺ وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارًا بذلك.

أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾.

﴿أولى لك﴾ بمعنى: ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره.

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾.

﴿فخلق﴾ فقدر ﴿فسوى﴾ فعدل.

فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾.

﴿منه﴾ من الإنسان ﴿الزوجين﴾ الصنفين.

أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾.

﴿أليس ذلك﴾ الذي أنشأ هذا الإنشاء ﴿بقادر﴾ على الإعادة. وروي أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك بلى»[4]، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بيوم القيامة»[5].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الإنسان مكية

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾.

﴿هل﴾ بمعنى قد في الاستفهام خاصة، والأصل أهل بدليل قوله: أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم. فالمعنى: أقد أتى على التقدير والتقريب جميعًا. أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب ﴿حين من الدهر لم يكن﴾ فيه ﴿شيئًا مذكورًا﴾ أي: كان شيئًا منسيًا غير مذكور نطفةً في الأصلاب. والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله:

إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾.

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد.

فإن قُلْتَ: ما محل لم يكن شيئًا مذكورًا؟ **قُلْتُ:** محله النصب على الحال من الإنسان. كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور، أو الرفع على الوصف لحين كقوله: ﴿يومًا لا يجزي والد عن ولده﴾[6] وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال: ليتها تمت، أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئًا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف. ﴿نطفة أمشاج﴾ كبرمة أعشار وبرد أكباش، وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد. ويقال أيضاً: نطفة مشج قال الشماخ:

طوت أحشاء مرتجة لوقت ... على مشج سلالته مهين

ولا يصحّ أمشاج أن يكون تكسيرًا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما، ومشجه ومزجه بمعنى. والمعنى من نطفة قد امتزج فيها المآن. وعن ابن مسعود: هي عروق النطفة. وعن قتادة: أمشاج ألوان وأطوار. يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿نبتليه﴾ في موضع الحال أي: خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه، كقولك: مررت برجل معه صقر صائدًا به غدًا، تريد قاصدًا به الصيد غدًا. ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة. وعن ابن عباس: نصرفه في بطن أمّه نطفة ثم علقة، وقيل: هو في تقدير التأخير. يعني: فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه.

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾.

---

(1) سورة القيامة، الآية: 3.

(2) سورة القيامة، الآية: 36.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: الفتن، باب: (174) (الحديث رقم: 2261).

(4) لم أجده عند أبي داود، وأخرجه الحاكم في المستدرك 2/510.

(5) ذكره الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/130.

(6) سورة لقمان، الآية: 33.